﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠﴾ [الأعراف: 20]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بين امتحانِ الإنسانِ، ووسوسةِ الشَّيطانِ؛ لإخراجِهِ مِنَ الجِنان

لمَّا أسكن اللهُ آدمَ وزوجَه الجنَّة، ونهاهما عنِ الأكلِ من تلك الشَّجرةِ، لم يزالا ممتثلَين لأمرِ الله حتَّى وَسوسَ لهما الشَّيطانُ؛ لبيانِ حالِ الحاسدِ مع محسودِه، فيما سألَ الإنظارَ بسببِه، فكانت وسوسة الشَّيطان بقُربِ نَهي آدمَ عنِ الأكلِ مِنَ الشَّجرة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَوَسۡوَسَ﴾: مِنَ الوَسوسة الخَطْرةُ الرَّديئةُ، ويُقالُ: لصوت الحَلْي، وللهمْسِ الخَفيِّ، أو القولِ الخفيِّ لقصدِ الإضلالِ: وِسْوَاس[2]، وسمِّي إلقاءُ الشَّيطان في نفس ابنِ آدمَ: وَسْوَسة؛ إذ هي أبلغ السِّرار وأخفاه، والوَسْوَاسُ: اسْمُ الشَّيْطَانِ، و﴿فَوَسۡوَسَ﴾ هنا بمعنى: حدَّثهما الشَّيطانُ بالقول الكَذِب، بالهَمْسِ الخفيِّ، أو بما ألقاه في قلبِهما لأجلهما[3]، "وقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾ [النّاس: 4]، أراد ذي الوِسْواسِ، وفلانٌ المُوَسْوِسُ: الَّذي يعتريه الوَسْواسُ، ووَسْوَسَ الرَّجُلَ: كلَّمَهُ كلامًا خفيًّا"[4].

2) ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: مأخوذٌ مِن شَطَنَ، أي: تباعَدَ، ومنه: بِئْر شَطُونٌ، وشَطَنَتِ الدَّار، والشَّطَنُ: الحَبْلُ؛ لأنَّه بعيد ما بينَ الطَّرفين، فسُمِّيَ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 7/372، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/56.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (وسس) أو (وسوس).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/347، والبغوي، معالم التنزيل: 2/142، وابن عطية، المحرَّر الوجيز: 2/384.
(4) ابن سيده المرسّي، المحكم والمحيط الأعظم: (وسوس).

الشَّيطانُ بذلك لبُعْده عنِ الحقِّ وتمرُّده، وذلك أنَّ كلَّ عاتٍ مُتمَرِّدٍ مِنَ الجنِّ والإنسِ والدَّوابِّ شيطانٌ، وذهب بعضُ اللُّغويِّين إلى أنَّ النُّون فيه زائدةٌ، أي: مأخوذٌ مِن شَاطَ يَشِيطُ، أي: احترق غضبًا، فَالشَّيْطَانُ مخلوق مِنَ النَّار، ولكونه مِن ذلك اختصَّ بفَرْط القوَّةِ الغضبيَّةِ، والحَمِيَّة الذَّميمة، وامتنع مِنَ السُّجود لآدمَ، ويُطْلَقُ الشَّيطانُ ويُراد به إبليسُ نفسُه[1].

3) ﴿لِيُبْدِيَ﴾: بدا الشَّيءُ بمعنى: ظهر ظُهورًا بيِّنًا، بعدَما كانَ خفيًّا، وسُمِّيَّ البَدْوُ بَدْوًا؛ لأنَّهم في بَراز مِنَ الأرض، وليسوا في قُرى تسترهم أبنيتُها، والباديةُ خِلافُ الحاضرة[2]، "(وافعَلْهُ بَدْءًا): ما تريد أوَّل شيء، و(هاتِها مِن ذي تبدَّأت)، أي: أَعِدِ الكلمةَ أو القِصَّةَ مِن أوَّلها، وأَبْدَأَ في الأمر وأعاد، واللهُ المُبدئُ المُعيدُ، وفلانٌ ما يُبْدِئُ وما يُعيدُ؛ إذا لم يكن له حِيلَةٌ. قال عَبيد بن الأبرص:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ *** فَاليَوْمَ لَا يُبدي وَلَا يُعِيدُ[3].

4) ﴿وُۥرِيَ﴾: سُتِرَ أو غُطِّيَ، يُقال: وَارَيْتُ كذا؛ إذا سترتُه، وتوارى؛ إذا استتر، والتَّورية في الكلام؛ إذا سترَ كلامًا، وأظهر غيرَه، ومنه الوراء بمعنى: الخَلْف؛ لاستتارِه عنِ الرَّائي[4]، "ووريتُ الشَّيءَ وأوريتُه أخفيتُه، وقيل: وَرَيتُ الخبرَ: جعلتُه ورائي، وسترتُه عن كراع، وليس مِن لفظ وراء؛ لأنَّ لام وراء همزة، وفلانٌ وَرِيُّ فلانٍ، أي: جاره الَّذي تُواريه بيوتُه وتسترهُ[5].

5) ﴿سَوْءَٰتِهِمَا﴾: السُّوءُ: كلُّ ما يغمُّ الإنسانَ مِنَ الأمور الدُّنيويَّة والأخرويَّة، وعُبِّر عن كلِّ ما يَقْبُح بالسُّوء، ولذلك سُمّيتِ السَّيِّئَة سيِّئَةً، فهو مِنَ الأسماء الجامعةِ للآفات، ثمَّ استُعمِل في كلِّ ما يُستقبح، وكُنِّي عنِ الْفَرْجِ بالسُّوء؛ لأنَّه يَسوءُ صاحِبَها انكشافُها مِن جَسَدِه، و﴿سَوْءَٰتِهِمَا﴾ بمعنى: عَوْراتِهما[6]، "والسَّوءة: ما يسوءُ الإنسانَ مِن أمرٍ شائنٍ وعملٍ قبيحٍ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات (شطن)، وابن عطية، المحرّر الوجيز: 2/384.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (بدو).
(3) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (بدأ).
(4) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (وري).
(5) ابن سيده المرسّي، المحكم والمحيط الأعظم: (وري).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (سوء)، وابن الهائم، التّبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 74.

والسَّوءةُ السَّوءَاء: الخَلَّة القبيحةُ، والمرأةُ المخالِفة، قال في حقيقة الأساس: وسوءَةٌ لك، ووقعت في السَّوءةِ السَّوءاء، قال أبو زبيدٍ:

لَمْ يَهَبْ حُرْمَةَ النَّدِيمِ وَحَقَّتْ *** يَا لَقَوْمِي لِلسَّوْءَةِ السَّوْءَاءِ[1]

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

بيانُ وسوسةِ إبليسَ لآدمَ وإغرائِهِ بالملائكيَّةِ والخلودِ

لـمَّا أباح اللّٰهُ تعالى لآدمَ ﷺ ولزوجته حواءَ نِعَمَ الجنَّة، بأن يأكلا منها مِن جميع ثمارِها، إلَّا شجرةً واحدةً، حسدهما الشَّيطانُ، وسعى في المكرِ والخديعةِ والوسوسة، ليُسلبا ما هما فيه مِنَ النِّعمة واللِّباس الحسن، فقال كَذِبًا وافتراء: نهاكما ربُّكما عن أكل الشَّجرةِ لكي لا تكونا مَلَكين، أو خالِدَين هاهنا، ولو أنَّكما أكلتُما منها لحصلَ لكُما ذلكما[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الفاءِ في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾:

كـلُّ ذي نعمةٍ مـحـسـودٌ، والـحـسـودُ لا يسودُ

أفادتِ الفاءُ معنى السَّببيَّة، بمعنى: إسكانُ اللّٰهِ آدمَ وزوجَه في الجنَّة أظهرَ حَسَدَ الشَّيطانِ، وكان سببًا لوَسْوَسته، فالوَسْوَسةُ مُسبِّبَةٌ عن تكرمةِ اللّٰه إيَّاهما، كما أفادتِ الفاءُ التَّعقيبَ، بمعنى: قُرْبِ الوَسوسة مِن إسكانِ آدمَ، إشارةً إلى أنَّه قُرب قريب؛ لأنَّ تعقيب كلِّ شيءٍ بحسبه[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾:

الوسوسةُ تكون بأبلغِ الإسرارِ، ولاتكونُ إلَّا فيما هو ضارٌّ

سُمِّيَ إلقاءُ الشَّيطان وَسْوَسةً؛ لأنَّه ألقى إليهما تسويلًا خفيًّا، مِن كلامٍ كلَّمَهُما به، أو انفعالٍ في أنفسِهما، فإنَّ الوَسْوَسةَ تكون بأبلغِ الإسرارِ وأخفاه، كهيئة الغاشِّ الماكر؛ إذ يُخفي كلامًا عنِ الحاضرين، كيلا يُفسِدوا عليه غِشَّهُ بفضح مَضارِّه، فإنَّ الوسوسة

(1) محمّد رضا، تفسير المنار، ص: 74.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/397.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/56.

لا تكون إلَّا فيما هو ضارٌّ، وليوهمَهُما أنَّه يُخلِصُ لهما النَّصيحةَ، بإلقائهِ الكلامَ لهما في صورة التَّخافت[1].

بلاغةُ تكرارِ الصَّوتِ في الفعلِ: ﴿فَوَسْوَسَ﴾:

تُؤْذِنُ صيغةُ: ﴿فَوَسْوَسَ﴾ بتكرُّر تسويلِ الشَّيطان، بأبلغِ الهمسِ الخفيِّ الضَّارِّ، وتكرارُ الصَّوتِ في وسوس كما في (زلزل)، يُشْعِرُ بتكرارِ إلقاء الكلامِ الخفيِّ؛ للإشعارِ أنَّ الشَّيطان لم يكتفِ بالتَّسْويل مرَّةً واحدةً[2]، بل هو يفعلُ ذلك بالعشيِّ والإبكارِ، دون كَللٍ يُذكر، ولا مَللٍ يُؤثر، ويبقى على ذلك، حتَّى يوقعَ الإنسانَ في أباطيلِه، فيَضِلَّ عنِ الصِّراط السَّويِّ القويم.

تكرارُ الصَّوتِ، يشعرُ بتكرارِ إلقاءِ الكلامِ الخفيِّ

مناسبةُ إيثارِ لفظِ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾:

لمَّا كانتِ الوسوسة تجرُّ إلى الباطلِ والسُّوء، ناسبها ذِكرُ الشَّيطانِ، لِمَا في اللَّفظ مِن معنى التَّمرُّد والعُتوِّ، والبُعْد عنِ الحقِّ. وأيضًا: لمَّا كان لفظ الشَّيطانِ مُشعرًا بالقُبح، وهو أقبحُ ما يكونُ مِنَ الأشياء، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصَّافات: 65]؛ دلَّ على أنَّ وَسْوَستَه أقبحُ ما يكون، فالقبيحُ لا يَصدرُ منه إلَّا القبيحُ.

الشَّيطانُ ملعونٌ قبيحٌ، والشَّيءُ مِن معدنِهِ لايُستغرَبُ

توجيهُ اللَّامِ بينَ العاقبةِ والتَّعليلِ في جملة ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾:

تَحتملُ اللَّامُ في قوله: ﴿لِيُبْدِيَ﴾ أنْ تكونَ مستعارةً للعاقبة والصَّيرورة، وذلك لأنَّ الشَّيطان لم يقصد بالوَسْوَسة ظُهورَ عورتِهما، ولم يعلم أنَّهما إنْ أكلا مِنَ الشَّجرة؛ بدت عوراتُهما، ولم يخطر له ببالٍ، وإنَّما كان قصْدُه: أنْ يحملَهُما على المعصية فقط، وإنَّما آلَ الأمرُ إلى انكشاف عورتيهما، أي: عاقبةُ الوسوسةِ أدَّت إلى ظهورِ عورتيهما، ولم تكنِ الوسوسةُ لظهورها. كما تَحتمِل اللَّامُ

مُرادُ إبليسَ إشراكُ آدمَ وزوجِهِ في المُخالَفَةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/56.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/94، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/355.

أنْ تكونَ للتَّعليل على أصلِها، وذلك أنَّه أراد بوسوسته أن يَسُوءَهما بانكشافِ عورتيهما، ولذلك عبَّر عنهما بالسَّوءةِ، أي: جعل ذلك غرضًا له ليَسُوءَهما، إذا رأيا ما يُؤْثِران سَتْره، وألَّا يُطَّلَع عليه مكشوفًا، أو أراد بوسوسته حطَّ مرتبتِهما وإلقاءَهما في العقوبة، بأنْ يَجعَل بُدوَّ العورةِ كنايةً عن سقوط الحُرمَةِ، وزوالِ الجاه، والمعنى: أراد كَشْفَ ما يَنْبَغِي سَتْرُهُ، وَألَّا يَجْتَنِبَا نَهْيَ اللهِ، فَيَكُونَ هُوَ وَهُمَا سَوَاءً فِي الْمُخَالَفَةِ، هُوَ أُمِرَ بِالسُّجُودِ فَأَبَى، وهما نُهِيَا، فلم يَنْتَهِيَا[1].

بلاغةُ المجازِ العقليِّ في جملة ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾:

أُسْنِدَ إبداءُ السَّوءاتِ إلى الشَّيطانِ؛ لأنَّه المتسبِّبُ فيه

لمّا كانتِ الوسوسةُ من الشَّيطان؛ ناسبَ أن يُجْعَلَ له غرضٌ فيها، ليتمَّ ادِّعاءُ كونِه فاعلًا الفعلَ القبيحَ، وكونِه قاصدًا من وسوستِه أقبحَ ما يظهر من القبيحِ، كشأنِ المخادعين في أن يكونَ لهم أغراضٌ، أو عللٌ في أفعالِهم، إتمامًا للكيدِ، فأسندَ إبداءَ السَّوءات إلى الشَّيطان؛ لأنَّه المتسبِّبُ فيه على طريقة المجاز العقليِّ[2].

دلالةُ صيغةِ: ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ مِنَ الآيةِ الكريمة:

المبالغةُ في التَّعبيرِ عنِ المواراةِ، حرصٌ على سترِ العوراتِ

لمَّا كانت صيغةُ: ﴿وُورِيَ﴾ مأخوذةً مِنَ المواراةِ، على معنى المفاعلةِ؛ احتملَ اللَّفظُ أن يكونَ مفاعلةً مِن واحدٍ، لتكون الصِّيغةُ بمعنى: فَعَل. ونكتةُ مجيء الفعل بصيغة المفاعلة: هي الإشعارُ بالمبالغةِ في سترِ العورةِ، والتَّحرُّز مِن أن يُرى منها شيءٌ. ويمكن أن تُقدَّرَ المفاعلةُ مِن اثنين؛ لأنَّ الشَّيء الَّذي يُوارى، هو أيضًا يُوارِي، مِن جهة قبولِه المواراةَ على سبيلِ المجاز[3].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/95، وابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 2/384، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/8، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/25، وروح المعاني، الآلوسيّ: 4/339، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/355.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/57.

(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/385.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿مَا وُۥرِيَ﴾:

سـوءاتُ آدمَ وحـوَّاءَ كانت مستورةً عنهما بسترِ اللهِ

في قوله تعالى: ﴿مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا﴾ لـمَّا كان (عَنْ) للمُجاوزة؛ دلَّ على أنَّ سوءاتِهما كانت مستورةً عن أنفسهما، ولـمَّا كانا لا يريانِها مِن أنفسهما، فعدمُ رؤيةِ أحدهما مِنَ الآخر بطريق الأولى[1]، "وفيه دليلٌ على أنَّ كشف العورةِ في الخَلوة، وعند الزَّوجِ من غير حاجة، قبيحٌ مُستهجَنٌ في الطِّباع"[2].

مناسبةُ تقديمِ لفظِ ﴿عَنْهُمَا﴾:

مَـن سترَ عورتَه عـن نـفـسـهِ، فَسَتْرُها مِن بابٍ أولى عن غيرِهِ

أصلُ الكلامِ في قوله تعالى: ﴿مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا﴾: (ليُبدِيَ لهما ما وُورِيَ مِن سوءاتِهما عنهما)، فقُدِّمَ ﴿عَنْهُمَا﴾ للعنايةِ والاهتمامِ بستر عورتَيْهما عن أنفسهما، فإنَّ مَن سَترَ عورتَه عن نفسه، فأن لا يراها غيرُه بطريق الأولى.

سرُّ التَّعبيرِ بالجمعِ في قولِهِ تعالى: ﴿مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾:

كـشـفُ الـعـورةِ مِـنَ الـمـنـكـراتِ، وهـو مستهجنٌ فـي كـلِّ المجتمعاتِ

لـمَّا كانتِ السَّوءةُ بمعنى: العورةِ، كان مجيءُ لفظةِ سَوْءَةٍ بصيغة الجمع في قوله: ﴿مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ على خلافِ الأصل، كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: 4]، ونكتتُه: أنَّه إمَّا أن يكون مِن وَضْعِ الجمعِ مَوْضِعَ التَّثنيةِ؛ كَراهَةَ اجتماعِ مِثْلَيْنِ للتَّخفيفِ في اللَّفظ، ولتعظيم شأنِ إبداء السَّوءَةِ، فكأنَّ مَن أظهر عورتَه؛ أظهر كلَّ سوءاتِه، وكلَّ ما يَعيبُه، وإمَّا أن يكون على أصل وَضْعِهِ، باعتبارِ أنَّ كلَّ عورةٍ هي الدُّبُرُ والفَرْجُ، وذلك أربعةٌ: فهي جَمْعٌ[3].

دلالةُ العطْفِ في قوله: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا﴾:

مـراودةُ إبليسَ وقسَمُه، خَدَعا آدمَ وزوجَـه، فانساقا لمُراده

إمَّا أن يكونَ العطفُ على معنى بيان الوَسْوَسةِ، فيكون ما وَسْوَسَ بهِ الشَّيطانُ هو قوله: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/356.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 3/220.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/25.

تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾، ويكون العطف بالواوِ مِن عطف التَّتابع، بمعنى البيانِ، أو أن يكونَ العطفُ على المغايرةِ، أي: إنَّ الشَّيطان قد وسوس لهما بطريق خَفِيٍّ، ثمَّ حاورَهما بعدَ ذلك، فثنَّى وسوسته، بأنْ قالَ: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا﴾، فيكون مِن تكرار الوسوسة، وفي هذا العطف إشعارٌ، بأنَّ آدم وزوجَهُ تردَّدا في الأخذِ بوسوسة الشَّيطان أوَّلًا، فأخذَ الشَّيطانُ يراودُهما، وأقسمَ لهما، حتَّى أكلا مِنَ الشَّجرةِ[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿رَبُّكُمَا﴾:

عَبَّر بـ﴿رَبُّكُمَا﴾ من قولِه: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾، ولم يقل: (ما نهاكما اللّه)؛ للإشعار بأنَّه تعالى هو مالك الجنَّة ومُدبِّرها، وليُسَهِّل إبليسُ أمرَ المخالفة؛ لما يُشعرُ به لفظُ الرُّبوبيَّة من معنى الرِّعاية لمربوبيهِ والإنعامِ عليهم، وقد أَبْعَد ضميرَ الجمعِ بأن يقول: (ربّكم)، واستعمل ضميرَ المثنَّى: ﴿رَبُّكُمَا﴾؛ ليستثني نفسَه مِنَ الخطابِ، وهذا لونٌ مِنَ التَّأبِّي والكبرياء، وكأنَّه مُستغنٍ عنِ الرُّبوبيَّة المشفقةِ.

اللهُ تعالى مالكُ الجنَّة، ومُدبِّر أمرِها، وهي مِن فيوضاتِ نعمهِ على عبادهِ

مناسبةُ مجيءِ اسمِ الإشارةِ ﴿هَٰذِهِ﴾ في قوله: ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾:

في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾، أعادَ الشَّيطانُ الإشارةَ إلى الشَّجرةِ باسم الإشارةِ الَّذي يدلُّ على القريبِ، بعد أن صارت معروفةً لهما؛ للإشعار بسهولةِ الأكلِ منها، زيادةً في إغرائِهما بالمعصية بالأكلِ مِنَ الشَّجرة[2].

تَنوُّعُ إغراءاتِ الشَّيطان؛ لتزيين الأكلِ مِنَ الشَّجرةِ

دلالةُ الاستثناءِ المفرَّغِ:

لمَّا كان الاستثناءُ المفرَّغُ على معنى نفي أعمِّ الأشياءِ وإثباتِ ما بعد ﴿إِلَّآ﴾؛ ليكونَ الحصرُ على أتمِّهِ وأوعبِه؛ دلَّ في قوله: ﴿مَا

تعظيمُ شناعةِ الوسوسةِ، وأثرُها في الضَّلالِ والمَفسدةِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/220، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/58.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/59.

نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾، على عظيم شناعةِ وسوسةِ الشَّيطانِ؛ ليكونَ المعنى نفيَ أيِّ عِلَّةٍ أو غرضٍ في النَّهي عنِ الأكلِ مِنَ الشَّجرةِ، قائلًا لهما بأنَّ علَّة ذلك: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

في الاستثناءِ المفرَّغ تنوُّعٌ في التَّوجيهِ وتكثيرٌ للمعنى:

شـرفُ التَّـوقِ للصُّعـودِ إلى مرتبةِ الملائكيَّةِ، يُغري بالمجازَفةِ والغوايةِ

لـمَّا كانَ الاستثناءُ مفرَّغًا مِنَ المفعولِ لأجلِه، ويقتضي تقديرًا ليتمَّ المعنى، على ما يدلُّ عليه السِّياق، كان توجيهُ الاستثناءِ على ثلاثةِ أوجهٍ؛ أحدها: أن يكونَ مِن نفي العلَّة، والمعنى: ما نهاكُما ربُّكما عن هذه الشَّجَرَةِ لعلَّةٍ، إلَّا لأن تكونا مَلَكين، والثَّاني: أن يكونَ بتقديرِ (لا) النَّافيةِ بعد (أنْ)، والمعنى: ما نهاكما ربُّكما عن هذهِ الشَّجرةِ إلَّا ألَّا تكونا مَلَكين، والثَّالثُ: وهو ما ذهب إليه كثيرٌ مِنَ النُّحاة والمفسِّرين، مِن أنَّ الكلامَ بتقدير الاسمِ، والمعنى: كراهةَ أنْ تكونا مَلَكين[1].

مناسبةُ الحصرِ في جملةِ الاستثناءِ في قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾:

قاومَ آدمُ وحواءُ إغـواءَ إبليسَ بقوَّةٍ

مجيءُ الكلامِ في قوله تعالى: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾، بطريقِ الحصرِ بالنَّفي والاستثناء، أفاد أنَّ آدمَ وزوجَه كانا مُصِرَّين على ألَّا يأكلا مِنَ الشَّجرة الَّتي نهى اللهُ عن قُربها، فأوهمَهُما الشَّيطانُ بوسوستهِ وكلامه المعسولِ، أنَّهما مخطئانِ في إصرارِهما على عدمِ الأكلِ مِنَ الشَّجرةِ[2]، وهذا مظهرٌ مِن مظاهرَ تلبيسِ إبليسَ على المؤمنين الطَّائعين، بحيثُ يثيرُ فيهم قناعاتٍ غيرِ مؤسَّسةٍ مِنَ النَّاحيَةِ الشَّرعيَّة، ولا مقبولةٍ في العقلِ، ولا في المعهودِ مِنَ الدِّين، وقد وقعَ الحضورُ أخيرًا بالأكلِ مِنَ الشَّجرةِ.

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/91، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/385، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/25، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/59.

(2) السّكاكي، مفتاح العلوم، ص: 294.

نكتةُ العطفِ بـ ﴿أَوْ﴾:

من مكْرِ إبليسَ، قَصْرُ الوسوسةِ على الملائكيَّةِ والخلودِ

في قوله تعالى: ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾، أغرى إبليسُ اللَّعينُ آدمَ وزوجَهُ وخدعَهما بذكرِ هذين الأمرين دونَ غيرِهما؛ لِما رآهُ آدمُ مِنَ الملائكةِ حين سجودِهم له، مِن قُربِهم مِنَ اللهِ تعالى، وما ذاقَهُ والتذَّ بهِ في الجنَّةِ؛ ليكونَ أوثقَ في إقناعِهما بالأكلِ مِن تلْكُما الشَّجرةِ.

إفادةُ ﴿أَوْ﴾ التَّخييرَ مع جوازِ الجمعِ بينهما:

إمعانُ إبليسَ في المراوغةِ لإقناعِ آدمَ أنَّه مِنَ النَّاصحين

تُفيدُ (أو) التَّخييرَ، فذكرَ إبليسُ اللَّعينُ الأمرين على طريقة التَّخييرِ، مع جوازِ الجمعِ بينهما؛ إمعانًا في الخِداعِ، ليُشْعِرَ آدمَ أنَّه مِنَ النَّاصحينَ[1].

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/215.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»